بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلّ وسلّم وبارك على محمد وآله واجعلنا معهم واحشرنا في زمرتهم

بمناسبة ما يذكر من وفاة الإمام الحسن العسكري (ع) في اليوم الثامن من شهر ربيع الأول أتحدث باختصار[1]، ولد الإمام الحسن العسكري (ع) في المدينة وانتقل مع أبيه (ع) إلى سامراء بأمر من جعفر المتوكل العباسي وبقي هناك، توفي الإمام الهادي (ع) في السنة الرابعة والخمسين بعد المئتين، فتولى الإمام الحسن العسكري الإمامة بعد أبيه (ع) إلى أن توفي في السنة الستين بعد المئتين، كانت مدة إمامة الإمام الحسن العسكري (ع) قليلة، وكان عمره الشريف كذلك قصيرا، وتاريخ حياته ليس مشهورا كما هو تاريخ حياة أمير المؤمنين (ع) وبعض الأئمة الآخرين

أذكر رواية مختصرة مرتبطة بوفاته (ع): (مات أبو محمد عليه السلام يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده كتبا كثيرة إلى المدينة وذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون سنة ستين ومئتين للهجرة، ولم يحضره في ذلك الوقت إلا صقيل الجارية، وعقيد الخادم، ومن علم الله غيرهما -يعني المهدي (ع)- قال عقيد: فدعا بماء قد أغلي بالمصطكي -نوع من أنواع النبات- فجئنا به إليه، فقال: أبدأ بالصلاة جيئوني فجئنا به، وبسطنا في حجره المنديل وأخذ من صقيل الماء، فغسل به وجهه وذراعيه مرة مرة ومسح على رأسه وقدميه مسحا وصلى صلاة الصبح على فراشه وأخذ القدح ليشرب فأقبل القدح يضرب ثناياه، ويده ترعد، فأخذت صقيل القدح من يده، ومضى من ساعته صلى الله عليه ودفن في داره بـــسر من رأى إلى جانب أبيه عليه السلام وصار إلى كرامة الله جلّ جلاله، وقد كمل عمره تسعا وعشرين سنة)[2]

هل أنت تفتقد الإمام الحسن العسكري (ع)؟ الإنسان لا يفتقد شخصا إلا أن يجد فيه ما يحبه ويرغب إليه ويكون عاقدا عليه أملاً، فإذا افتقده هو يتأذى ويتألم، لا التألم العاطفي، يعني شخص يموت أبوه فيتأذى عاطفيا

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري (قدس الله نفسه الزكية) بهذا الحديث في يوم الجمعة بتاريخ ١٠ ربيع الأول ١٤١٧ هـــ، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف يتطلبه تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) بحار الأنوار (٣٣١/٥٠) نقلا عن كمال الدين وتمام النعمة

–بدرجة وأخرى– وشخص آخر يموت أبوه لا فقط يتأذى عاطفيا بل يفتقد بفقده سنده وبلا هذا السند لا يستطيع أن يعيش فينهار ويرتبك فلا يستطيع أن يستغني عنه

أمير المؤمنين (ع) حينما افتقد رسول الله (ص) كان قد افتقد ركنا له، وحينما افتقد فاطمة (ع) كان قد افتقد ركنه الثاني، الركن يعني الإنسان مستند إلى شيء، معتمد على شيء

قبل الاستمرار في الحديث أقرأ مقطعا من دعاء الندبة الذي ذكره الشيخ القمي (رض) في كتاب مفاتيح الجنان، تدبّر معي هذه الفقرة من هذا الدعاء

(أين الحسن، أين الحسين، أين أبناء الحسين؟) تستطيع أن تعيش هذه الحالة، (أين) يعني نفسك تقول أين هم؟ قلبك يقول أين هم؟ هنا إذا كنت طالب معرفة وتتعقل الأمور بتبع الإمامة العالمة التي أنت تتأسى بها هنالك تعرف بأن هذه الحالة (أين) الموجودة في نفسك يعني افتقادك لهم، هذا الافتقاد لا يحصل إلا بأن تحصل تغييرات كثيرة في داخل قلبك ونفسك، كثير من الأشياء يجب أن تتغير، تأتي الأمور من جذورها، لا أنه أنا أريد أن أفتقد أريد أن هذه الحالة تحصل فيّ! شخص من الممكن أنه يوجدها فيك تصنُّعا في لحظة من اللحظات أو في ساعة من الساعات ثم تنتهي، بل (أين) تنبع من القلب، هذه الصرخة كيف تنبع من القلب؟ كيف تكون في القلب ليجسدها اللسان؟ (أين الحسن أين الحسين؟) ماذا تريد منهما؟ ما هو ارتباطك بهما؟ أعيشهما أحتاجهما (أين الحسن أين الحسين أين أبناء الحسين صالح بعد صالح وصادق بعد صادق أين السبيل بعد السبيل؟) أنا بحاجة إلى سبيل، لسان حالي: أريد الدرب إلى الله لا أجده (أين الحسن أين الحسين أين أبناء الحسين؟) يدلوني على الطريق الذي أنا بحاجة إليه، لو لم يكن الإنسان بحاجة إلى هذا الطريق فهو لا يرغب في هذا الطريق، ماذا يريد من الحسن والحسين (ع)؟ أربعة عشر قرنا تقريبا بيننا وبينهم

(أين السبيل بعد السبيل، أين الخيرة بعد الخيرة، أين الشموس الطالعة؟) الدنيا مظلمة، هذا الظلام يؤذيني يؤلمني يضغط عليّ، نفسي تتطلع إلى نور إلى بيان إلى وضوح في الرؤية، أحتاج شمسا وهؤلاء شموس طالعة، أحتاج شمسا، شمسا حقيقية يجسدها الحسنان (ع) ويجسدها أبناء الحسين (ع)، فأحتاج إليهم لأني أحتاج إلى نور (أين

الأقمار المنيرة أين الأنجم الزاهرة؟) في ليلة ظلماء مدلهمة لا أدري إلى أين أذهب؟ لا في الأرض من يهديني الطريق ويؤشر –بسلوكه وبقوله – هذا هو الطريق اسلكه، أنظر إلى الدنيا مظلمة لا علائم في الأرض، في البحر كانوا هكذا يهتدون بالنجوم وفي الصحراء حينما الإنسان يتيه، (أين الأنجم الزاهرة أين أعلام الدين؟) أنا لا أستطيع أن أستغني عن الدين، أتطلع للدين أرغب في الدين، لا أجده أين أعلامه؟ هؤلاء أعلامه (أين أعلام الدين وقواعد العلم، أين بقية الله التي لا تخلو من العترة الهادية؟) أنا بحاجة إلى هدى ونفسي تبحث عن الهدى وتتطلع إليهم فتجد الهدى فيهم، (أين المعد لقطع دابر الظلمة أين المنتظر لإقامة الأمت والعوج؟) هنالك عِوَج، هنالك أمت أعرفه، فبكل وجودي أتمنى أن يقوم قائم يعرف هذا الأمت والعوج ويزيله، أذوب فيه أسنده بكل وجودي، هل (أين) (أين) (أين) هذه الأشياء تعني قضايا في قرارة نفسي وداخل قلبي؟

الأدعية المأثورة عن الأئمة (ع) أدعية مربّية، هي أسلحة أئمتنا سلام الله عليهم لابد أن نتدبرها فنستفيد منها (أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان، أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن؟) شخص لا يهمه أن الفرائض والسنن تتجدد! لا يهتم أبدا لهذه الأشياء! لأن حياته مستمرة وظيفته وشغله وبيته وقضاياه، صلاته أيضا موجودة ومستحباته كذلك موجودة نفترض مثلا يذهب للزيارة ويذهب للعمرة وأمثال ذلك، أمّا أنه يهتم أن الفرائض معوَجّة ميتة؟ هو لا يهتم لهذه الأشياء! فإذا قيل له أن اقرأ هذه الفقرات كيف يقرؤها؟

(...أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن، أين المتخير لإعادة الملة والشريعة، أين المؤمل لإحياء الكتاب وحدوده، أين محيي معالم الدين وأهله، أين قاصم شوكة المعتدين، أين هادم أبنية الشرك والنفاق، أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان، أين حاصد فروع الغي والشقاق، أين طامس آثار الزيغ والأهواء، أين قاطع حبائل الكذب والافتراء، أين مبيد العتاة والمردة، أين مستأصل أهل العناد والتضليل والإلحاد، أين معز الأولياء ومذل الأعداء، أين جامع الكلمة على التقوى، أين باب الله الذي منه يؤتى، أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أين السبب المتصل بين الأرض والسماء، أين صاحب يوم الفتح وناشر راية الهدى، أين مؤلف شمل الصلاح والرضا، أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكربلاء...، بأبي أنت وأمي ونفسي لك الوقاء...) تفتقده إذا استطعت أن تتحرر، وتستطيع أن تتحرر إذا رغبت في ذلك، إذا شئت تستطيع أن

تتحرر من إيحاءات الشيطان المتجسدة في كثير من الأشياء، توحي إليك أن حياتك جيدة، وأن لا مسؤولية عليك ولا أحد يطالبك بشيء أكثر من هذا، إذا فكرت في اضطهاد الإمام الحسن العسكري (ع)، كان يسجن رغم أنه في سامراء كان تحت السيطرة، رغم أنه ما كان يقوم بأي عمل ضد السلطان لكن مع ذلك كان مضطهدا، لِمَ؟ هنا بشكل طبيعي تتساءل، هذا الذي اشتهر في الأقوال ويتكرر (ما منا إلا مقتول أو مسموم)[٣]، حتى إذا لم يثبت، يعني هكذا كانوا مضطهدين، لِمَ؟ لِمَ أمير المؤمنين (ع) كان يتألم فيتنفس دما؟ لِمَ الحسين (ع) قُتل؟

هنا بشكل طبيعي تبحث: أين أنا؟ هؤلاء أئمتي، إن لي ربا خلقني لا عبثا، إن أمامي آخرة سأحشر فيها وأحاسب، إني خُلقت لأوجّه الأرض، لأعمّر الأرض وفق مقاييس الله، لأوجهها إلى ربها لتشرق بنور ربها فأبحث كيف؟ ماذا كان يريد رسول الله (ص)؟ لِمَ بُعث؟ هنا لا أكتفي بطبيعة الحال بسماع كلام عابر لشخص مهما كان هذا الكلام، حتى لا أكتفي بقراءة القرآن وتكرار ختمه، بل حينما أتدبر أتعقل أين أنا؟ أرى حولي أناسا لاهين كلٌ يوحي –بسلوكهم بأقوالهم– إليّ أن لا تتعقل، لا تتذكر هذه الأشياء، لا تهتم بهذه الأمور، الحياة دعها تمشي، أستطيع أن أقول له اسكت، ابتعد عني، (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ)[٤]، صادقتك خمس سنوات، صادقتك عشر سنوات، دائما أنت أوحيت إلي أن وضعي جيد، في أي وقت من الأوقات لم تحاول أن تهزني، ابتعد عني، أريد أن أعيش نفسي، أقيس نفسي بمقياس ربي، هذه هي البداية

إذا دخلت هذا الطريق هنا بدأت الجهاد في سبيل الله (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[٥] هنالك قطعا تجد إفاضة إلهية، قطعا تجد أنك في كل خطوة تزداد هدى تزداد نورا تزداد قوة، بشرط أن تقول ربي إني أريد أن أكون معك، هنالك كان الله معك، تجد هذا الكون مع الله، تبدأ تفكر ماذا كان يريد رسول الله (ص) بالضبط؟ هل يريد هذا الواقع الموجود؟ هذا لا يكلفك شيئا، القيام بالقسط الذي بعث له الأنبياء كلهم هل كان يعني هذا؟ تسأل شخصا يقول لك الدين هو هذا، تجد بأنه يخدعك، قد يبرر لنفسه لأنه هو يريد أن يعيش مرتاحا

---

[٣] بحار الأنوار (٢٧ /٢١٧) نقلا عن كفاية الأثر

[٤] (الزخرف: ٣٨)

[٥] (العنكبوت:٦٩)

فيقول لك الدين هو هذا فقط، أنا جربت أناسا ضعفوا واستحوذ الشيطان عليهم فانجرفوا مع الشيطان وهم حسب الظاهر متدينون، بعد ذلك كانوا يحبون أن لا يكون هنالك مسجد، وحتى إذا كان هنالك مسجد يحبون أن هذا المسجد لا يطرح شيئا يؤثر عليهم، أو أنه مثلا يفرغ من كل الأشخاص الذين يرتادونه، لِمَ؟ حتى هو يشعر براحة أنه الناس كلهم مثله، هذه الحالة جربتها أو لا؟ أنا قد أكون بهذا الشكل أريد الراحة، التخلي عن المسؤوليات، فأوحي إليك بطرق مختلفة أنه أنت كذلك ارتح، فإذا أراك مرتاحا أشعر في قرارة نفسي أقول أنا لست وحدي الناس كلهم هكذا، هذا تعرفه، تعرف داء الدنيا ودواءها

هنالك تصل إلى الأئمة (ع)، مئتين وستين سنة منذ أن هاجر رسول الله (ص) من مكة إلى المدينة، أئمتنا (ع) كانوا يصرخون دائما، لم يكن فقط أمير المؤمنين (ع) يصرخ، لم يكن فقط الحسين (ع) يصرخ (أما ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا)[٦] كل الأئمة –حتى القاعدون منهم– بسلوكهم بتصرفاتهم كانوا يؤشرون إلى صرخة وآلام أمير المؤمنين (ع)[٧]، العالم يوحي إليك بشتى الوسائل أن تعامل مع آلامه (ع) كآلام شخص انتهى ولا يخصك أنت

أما أنت إذا أنت دخلت الأمور من بابها فسوف تجد –خطوة فخطوة– أن آلام أمير المؤمنين (ع) هي آلامك أنت، صرخته (ع) هي صرختك أنت، صرخة الحسين (ع) هي صرختك التي جسّدها هو بدمه الزكي، هنالك تفتقده، عينك إذا ما بكت عليه فقلبك يعتصر لأجله، قلبك تعتصره ذكرى أمير المؤمنين (ع) لا تستطيع أن تنساه، فرسول الله (ص) دائم الوجود في حياتك وفي نفسك، وأمير المؤمنين (ع) دائم الوجود في نفسك وبتبعه الأئمة (ع) الذين كانوا يؤشرون إلى رسول الله (ص) وإلى أمير المؤمنين (ع)، تفتقدهم، أين الحسن، أين الحسين، أين أبناء الحسين؟ حتى إذا ما تتكلم، حتى إذا لم تقرأ هذه العبارات، فحالتك تكون: أين الحسين أين قائم آل محمد (ص)؟ أنا لا أريد أن أكون مثل العالم الضال، لا أريد أن أكون صفرا من الأصفار، إني عرفت ربي وعرفت

---

[٦] تحف العقول (ص٢٤٥)

[٧] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت ٤ – الإمامة**)، فصل (**وَيَتلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**) وما بعده

أن ربي لم يخلقني عبثا، إني أريد أن أكون من أنصار رسول الله (ص) ومن أنصار أمير المؤمنين (ع)، ثم من أنصار الحسين (ع)، من كان من أنصار الحسين (ع) كان من أنصارهم (ع)

فتجد أن أمورا قد تغيرت فيك، كنت تأنس بصديق وتفتقده ولكنك الآن أصبحت تكرهه وتتبرأ منه لأنه يلهيك عن دينك، يلهيك عن ذكر ربك، هنالك تفتقد الإمام الحسن العسكري (ع)، يذكرك بأمير المؤمنين (ع)، يذكرك بالحسين (ع)، حتى إذا رأيت الإمام الحسن العسكري (ع) يعيش كما كان الناس يعيشون تتألم أكثر لأنك تجد –بمعرفتك للإمامة– أنه هو مضطهد، قلبي يعتصر لأجلك أعيش همك، يا أبا محمد بدل أن تكون أنت الإمام كنت تعيش في ظل الإمامة الضالة، هنا تفتقد الإمام الحسن العسكري (ع)، تفتقد الإمام القائم (ع)، حتى في أعماق التاريخ جرب سوف تفتقد إبراهيم (ع) بشكل طبيعي، ياليتني كنت معه، تفتقد عيسى (ع) حينما قال (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّه)[8] ياليتني كنت معه، تعرفه فتقول أنا من أنصارك إلى الله، أنا متهيئ ومستعد، حينما كان إبراهيم (ع) يقول (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي)[9] تتمنى بكل وجودك ياليتك كنت هناك فتهاجر معه إلى ربه

لابُد أن تفتقد الأئمة، لابُد أن تحبهم، لولا امرؤ يحب الأئمة (ع) لما كان عبدا صالحا لله، كيف تحبهم؟ بعد أن تعرفهم[10]، في حياتك العملية أنت تهتم أن تعرف أبوابها ومنافذها المختلفة ومخارجها، فالدين يجب أن يكون هو الأهم لتعرفه، تعقّل، فكّر، أكتفي بهذا المقدار، والحمد لله رب العالمين

---

[8] (الصف:١٤)

[9] (العنكبوت: ٢٦)

[10] بيّن السيد (قدس سره) هذه المسألة في كتاب (**هكذا آمنت٤ – الإمامة**)، فصل (**ما هي معرفة الأئمة؟**)